قراءة لمخرجات قمة اسمرا للتعاون الاستراتيجي
بين ارتريا ومصر والصومال

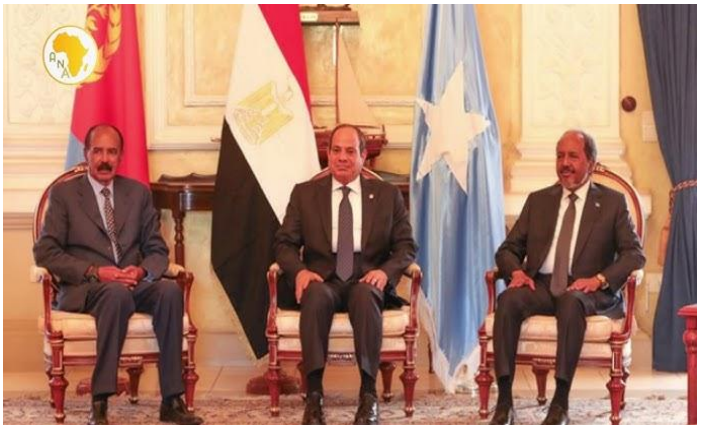

بقلم: د.أحمد حسن دحلي

بغية وضع مخرجات قمة أسمرا لرؤساء ارتريا ومصر والصومال في سياقها الجغرافي والسياسي، سنتوقف برهة على مكان عقد القمة، وتوقيت الاجتماع الرئاسي الثلاثي، ثم ابراز الأهمية الجيو استراتيجية والجيو سياسية للدول الثلاث، قبل الوقوف على روح البيان الثلاثي، والرسائل التي يحملها بين طياته، وآلية تنفيذه ومتابعته.

المكان: ارتريا

انعقاد القمة الثلاثية في اسمرا يحمل بين طياته أكثر من دلالة نذكر منها:

1 ـ ارتريا ومنذ فجر انتزاعها حريتها من المستعمر الاثيوبي واعونه في عام 1991، لم تكف عن بذل الجهود الدبلوماسية والسياسية الحثيثة بغية إطفاء نيران الحروب في عموم منطقة القرن الافريقي وفي جنوب حوض البحر الأحمر.

2 ـ ارتريا دولة تحترم وتلتزم بالقانون الدولي وبميثاق الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز وميثاق الاتحاد الافريقي ومنظمة الايغاد.

3 ـ دولة ارتريا تعتمد سياسة خارجية تقوم على:

ـ الندية في التعامل.

ـ الاحترام المتبادل.

ـ خدمة المصالح المشتركة.

ـ عدم التدخل في شئون الغير الداخلية.

5 ـ عدم الدوران في فلك أي قطب.

الزمان:

عقدت قمة اسمرا في وقت تشتعل فيه الحروب، وتسود التوترات في منطقة القرن الافريقي والشرق الاوسط، بينما البحر الأحمر دخل في دائرة الحرب الدائرة بين إسرائيل وحركة المقاومة الفلسطينية حماس، عبر بوابة تضامن " حركة أنصار الله " اليمنية مع نضال الشعب الفلسطيني، من خلال اعتراضها وتوجيه ضربات للسفن المتجهة الى ميناء ايلات. وانتهزت الإدارة الامريكية برئاسة جوزيف بادين هذه الاحداث لإقامة تحالف عدد من الدول الغربية بمشاركة رمزية للغاية من بعض الدول الأخرى في محاولة مكشوفة لتغطية طبيعة هذا التحالف. ولقد أطلقت عليه اسما غريبا، ألا وهو " حارس الازدهار ". ولسنا ندري عن أي " ازدهار " تتحدث واشنطن، ولكن ما نشاهده في البحر الأحمر انها تصعد من وتيرة التوتر والقلق وعدم الاستقرار وحولت البحر الأحمر الى ساحة مواجهة عسكرية مع تضاعف حشود السفن الحربية بصورة خطيرة، هذا ما يكشف بجلاء حقيقة وطبيعة ذلك " الازدهار ".

سفن حربية غربية في البحر الاحمر

وفي وسط هذه الأجواء الملبدة بالغيوم الداكنة، تسعى الإدارة الامريكية وحلفاؤها لبسط نفوذهم في البحر الأحمر، ومضاعفة حالة التوتر فيه بمواجهتهم العسكرية مع القوات البحرية اليمنية، وشنهم غارات جوية على ميناء الحديدة وصنعاء

...الخ بين الحين والآخر بحجة " الدفاع عن النفس " وتدمير مواقع انطلاق المسيرات والصواريخ اليمنية الذين يقولون انها تهددهم وتهدد إسرائيل حليفتهم الاستراتيجية التاريخية في المنطقة. وعليه فإن تطورات هذه الاحداث باتت تؤثر وبصورة كبيرة وخطيرة على الملاحة البحرية، وعلى امن البحر الأحمر، وعلى سلاسة سير الحركة التجارية الدولية والإقليمية التي تراجعت بنسبة 50 في المائة في قناة السويس مثلا، هذا من دون الحديث عن الارتفاع الجنوني لتكاليف التأمين وأسعار الوقود. وان خيار تفادي المرور عبر البحر الأحمر وسلك طريق رأس الرجاء الصالح، ليس مكلفا وحسب، بل إنه محفوف بالمخاطر، هذا مما يعني بأن الخيارات محدودة للغاية.

الأهمية الجيو استراتيجية والجيو سياسية للدول الثلاث

من الضرورة بمكان تسليط بعض الأضواء على أهمية مصر وارتريا والصومال الجيو استراتيجية والجيو سياسية في البحر الأبيض المتوسط وفي البحر الأحمر وفي المحيط الهندي، والتي وقعت اتفاقية ثلاثية متعددة الابعاد في العاشر من أكتوبر 2024 في اسمرا، لكي نفهم مدى أهمية وحساسية ذلك الاتفاق.

1 ـ مصر لها ساحل طويل في البحر الأحمر يمتد لـ 1941 كلم، بينما طول شاطئها في خليج العقبة يبلغ 201 كلم، كما انها تملك ساحلا بحريا يمتد على مدى 955 كلم في البحر الأبيض المتوسط. هذا فضلا عن كونها دولة محورية على أكثر من صعيد سياسي ودبلوماسي وعسكري وثقافي في منطقة الشرق الاوسط.

2 ـ ارتريا لها شاطئ في البحر الأحمر يبلغ طوله 1350 كلم، وارخبيل في دهلك يتألف من زهاء 210 جزيرة تبلغ مساحته 643 كلم مربع، مما يجعلها تشرف على وسط البحر الأحمر، كما انها تحتل موقع استراتيجيا في جنوب البحر

الأحمر من خلال ارخبيل محبكة المكون من خمس جزر، وتطل على المدخل الشمالي الغربي لمضيق باب المندب عبر كل من جزيرة فاطمة وحالب ورأس دميرا وجزيرة دميرا ودير عيلا. وعلاوة على ذلك، فإن ارتريا تملك أكثر جزرا من أي دولة أخرى في البحر الأحمر، حيث يبلغ عدد جزرها زهاء 354 جزيرة، تمتد سواحلها على مدى 1950 كلم. هذا مما يعني، بأن الساحل الارتري بما فيه الجزر يبلغ 3300 كلم. وعلى الصعيد السياسي، فإن دولة ارتريا ومنذ شروق شمس الحرية في عام 1991 في سمائها، تلعب دورا كبيرا في انهاء الحروب، وتطويق الازمات، وإحلال السلام والاستقرار في القرن الافريقي وفي جنوب البحر الأحمر.

3 ـ الصومال من ناحيته يشرف على المدخل الجنوبي لباب المندب من خلال ساحله البحري الذي يبلغ طوله 3025 كلم، وعبر أرخبيل باجوني المكون من ست جزر رئيسية، ويقع في اقصى جنوب البلاد. ويعتبر الساحل الصومالي همزة وصل بين مضيق هرمز وقناة السويس مرورا بباب المندب. ويسعى الصومال جاهدا بغية إعادة بناء وحدته الوطنية على أسس راسخة، واستعادة دوره التاريخي المشهود إقليميا وقاريا ودوليا على مدار ثلاثة عقود كاملة منذ فجر الاستقلال في عام 1960 ولغاية حلول الكارثة السياسية في عام 1990.

وهكذا تحتل القاهرة واسمرا ومقديشو مواقع جيو استراتيجية وجيو سياسية مميزة في تأمين حركة التجارة الدولية بين افريقيا وآسيا واوروبا وامريكا، كما تلعب دورا بارزا في إحلال السلام والاستقرار في عموم هذا الجزء من العالم. ويستخلص من ذلك ان الاتفاقية بين الدول الثلاث لها سبعة ابعاد تمتد من البحر الأبيض المتوسط الى الخليج الفارسي مرورا بقناة السويس الى البحر الأحمر ومنه الى خليج عدن والمحيط الهندي من خلال مضيق باب المندب، وصولا الى الخليج عبر مضيق هرمز.

وهذا يعني فيما يعني، ان مصر ارتريا والصومال تشكل حلقات مفصلية بين البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الخليج من ناحية، وان الدول الثلاث تشكل عمقا استراتيجيا مشتركا لبعضها البعض من ناحية أخرى. بمعنى، ان ارتريا والصومال تشكلان العمق الاستراتيجي الجنوبي لمصر، ومصر بدورها تعتبر العمق الاستراتيجي الشمالي لكل من ارتريا والصومال.

ولجملة هذه العوامل والاعتبارات اهتمت ولا تظل تهم الدوائر السياسية والعسكرية والأمنية والإعلامية الإقليمية والقارية والدولية بهذه الاتفاقية الثلاثية بين دول تحتل مواقع جيو استراتيجية وجيو سياسية في غاية الأهمية والحساسية، تمتد من قناة السويس شمالا الى منطقة الخليج شرقا ، مرورا بمضيق باب المندب جنوبا، وشرعت في تحليل هذه الاتفاقية، وعمدت على اعداد دراسات استشرافية تحسبا للنتائج التي يمكن ان تترتب عليها، وخشية من العواقب التي قد تنجم عنها، وذلك وفقا للتوجهات السياسية للجهات الإقليمية والقارية وشبه القارية والدولية المعنية بصورة مباشرة او ملتوية بهذه الاتفاقية التي لا تزال محط نقاش ودراسات وتحليلات في العديد من مراكز الدراسات الاستراتيجية والمؤسسات السياسية والبحثية.

بنود ورح الاتفاق الثلاثي

اتفقت ارتريا ومصر والصومال على:

1 ـ " الالتزام بالمبادئ والركائز الأساسية لقانون الدولي " التي تنتهك بصورة ممنهجة، ولا سيما من قبل بعض الدول الكبرى والصغرى التي تعتمد سياسات الهيمنة والعربدة والتوسع على ركام كل الأعراف والمواثيق الدولية.

2 ـ " الاحترام المطلق لسيادة ووحدة أراضي بلدان المنطقة " التي تتعرض سيادة البعض منها لإعتداءات مباشرة وغير مباشرة من قبل بعض الدول لها أحلام كابوسية ـ كارثية واجندات توسعية.

3 ـ تعزيز وترسيخ التعاون الثلاثي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وبما يخدم المصالح المشتركة لشعوب الدول الثلاث.

4 ـ حماية امن وسلامة البحر الأحمر بكل ابعاده الاقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية والجيو استراتيجية.

5 ـ " تطوير وتعميق التعاون والتنسيق بين الدول الثلاث من اجل تعزيز إمكانات مؤسسات الدولة الصومالية لمواجهة مختلف التحديات الداخلية والخارجية، وتمكين الجيش الفيدرالي الصومالي الوطني من التصدي للإرهاب بكافة صوره، وحماية حدوده البرية والبحرية، وصيانة وحدة أراضيه. "

ومن الناحية العملية، تقوم دولة ارتريا منذ عدة سنوات ومن دون توقف او انقطاع في تدريب وتأهيل بعض وحدات الجيش الصومالي البرية والبحرية والجوية على دفعات متتالية، لكي تساهم في:

1 ـ حماية حدوده البرية، وصون مياهه الاقليمية وتأمين مجاله الجوي، من التدخلات والتهديدات الخارجية.

2 ـ محاربة الإرهاب والمجاميع التي تزعزع امنه واستقراره.

3 ـ استباب الامن والسلام في ربوع البلاد.

4 ـ بناء جيش وطني يكون صمام امان سيادة الصومال ووحدته الترابية، ويلعب دورا في ترسيخ وتعزيز المقومات البنيوية لوحدته الوطنية.

ومصر من ناحيتها شرعت في تقديم المساعدات العسكرية للصومال، ووقع البلدان في 14 أغسطس 2024 اتفاقية دفاع مشترك. والى ذلك، ستساهم مصر أيضا في عملية تأهيل وتدريب دفعات من الوحدات العسكرية الصومالية ضمن الاتفاقية المبرمة بين القاهرة ومقديشو. ويذكر ان الرئيس عبد الفتاح السيسي قال وبصريح العبارة في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في 21 يناير 2024 مع نظيره الصومالي حسن شيخ محمود، " لن نسمح لأحد ان يهدد او يمس الصومال "، ثم أضاف وبلهجة تحذيرية " انا أقول بكل وضوح ما حدش يجرب مصر".

الرسائل:

احتوت اتفاقية قمة اسمرا الثلاثية أربع رسائل أساسية وهي:

1 ـ الرسالة الاولى موجهة وبصورة واضحة لا لبس فيها ولا التباس الى كل من تسول له نفسه التدخل بطريقة أو اخرى في الشئون الداخلية لأي دولة من دول المنطقة على أنقاض القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة والاتحاد الافريقي وجامعة الدول العربية...الخ والرسالة واضحة جدا، ووصلت مباشرة الى كل من يعنيه الامر.

2 ـ الرسالة الثانية هي عزم الدول الثلاث على التصدي بصورة جماعية للتدخلات الخارجية في الشئون الداخلية لدول المنطقة " خلف أي ذريعة أو مبرر ". وهذا البند في غاية الأهمية، لأن الرسالة التي يحملها تتجاوز طور المناشدات الكلاسيكية العامة التي تحث على عدم التدخل في شؤون الدول الداخلية في معظم

الاتفاقيات التي تبرم بصورة ثنائية او جماعية في غير محفل إقليمي أو قاري او دولي، وذلك لأن مصر وارتريا والصومال قررت وشددت على " التصدي " بصورة جماعية لأي تدخل في قضايا دول المنطقة الداخلية. وهذه رسالة ساطعة وناصعة لمن يهمه الامر.

3 ـ والرسالة الثالثة تتعلق بـ " تنسيق الجهود المشتركة لتحقيق الاستقرار الإقليمي "، بمعنى إن الدول الثلاث ستعمل سويا وستنسق فيما بينها ضد أي جهة او دولة تسعى لزعزعة امن واستقرار عموم دول المنطقة.

4 ـ الرسالة الرابعة موجهة الى تلك الدول التي تقيم القواعد العسكرية وتنشر سفنها الحربية في البحر الأحمر خلف ستار محاربة القرصنة، وتأمين البحر الأحمر...الخ وفحوى الرسالة هي، ان الدول المطلة على البحر الأحمر ليست قادرة فقط على حمايته، بل إنها مؤهلة وحريصة أكثر من غيرها على صون البحر الأحمر من التهديدات التي قد يتعرض لها، وإنها ادرى اكثر من أي دولة أخرى بسبل وكيفية درء المخاطر عنه قبل وقوعها، وليس اللهاث خلف دخانها، وذلك لقطع الطريق على التدخلات الخارجية من قبل دول لها اجنداتها الخاصة، والتي دائما ابدا ما تسعى لإستغلال الثغرات هنا، وتوظيف التوترات والنزاعات هناك، لتبرير وجودها العسكري وبسط نفوذها في البحر الأحمر، خلف ذرائع واهية، ومبررات مختلقة، وشعارات براقة كـ " حراسة الازدهار ".

آلية المتابعة:

وأخير وليس آخر، حرصت ارتريا ومصر والصومال ان لا يكون " اتفاق اسمرا " مجرد تعبير عن النوايا والرغبات الحسنة، وانما برنامج عمل واقعي، مقرون بآلية تطبيق ومتابعة عبر " لجنة ثلاثية مشتركة من وزراء خارجية ارتريا ومصر والصومال للتعاون الاستراتيجي في كافة المجالات. "

16 أكتوبر 2024